

الدور الحضاري للفرد المسلم في ظل انجلاء غطاء النظام العالمي بعد جائحة كورونا

The civilizational role of the Muslim individual in light of the disappearance of the global system's cover after the Corona pandemic

✽ نوح دربال (*) جامعة باتنة 1

البريد الإلكتروني: nouhderbal8@gmail.com

✽ ريمة مشومة جامعة باتنة 1

البريد الإلكتروني: rimelune@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/02/05 تاريخ القبول: 2022/02/16

الملخص:

يعتبر البحث دراسة تحليلية استشرافية فكرية، يغلب عليها الطابع السني، فالدراسة تعتبر تفسيراً علمياً فكرياً منطقياً بعيداً عن الدجل التحليلي والهرطقات السفسطائية في التفسير، فالذي أؤمن به هو التفسير السني المنطلق من الرؤية القرآنية الكونية، التي تجمع بين السنن والأسباب، فإذا قرأنا التاريخ نجده شيئاً عادياً جداً، يقع عند جميع الأمم لحكمة يريد بها الله، قد نفسره غيبياً! وقد نفسره مادياً...!

(*) المؤلف المرسل

والأصل أنه سنة من سنن الله في خلقه، وهنا ملامح النسبية البشرية في مقابل الله بكل جلال وجمال وكمال، والأکید أن نعم الله الباطنة ستظهر قريباً بعد زوال البلاء، أما الخلاص الفردي، فلا يكون إلا بالتعاون والتوبة ورد المظالم، والأخذ بالأسباب.

وقد كثرت الكتابات في زمن كورونا من كل الزوايا والاتجاهات والتخصصات، فظهر فقه النوازل، وأدب الأوبئة، والقراءات السياسية للوباء و الأجندات الإعلامية... فهل اجتياح الكورونا للعالم وعدم تفرقه بين أجناس الشعوب، يعيد للضمير الإنساني صوابه وعقله؟ وهل تُقذف في أفئدة البشر مشاعر الإنسانية والرحمة التي اغتالتها المادية البغيضة....؟ وماهي تجليات السنن الكونية التي أفرزتها الجائحة وإسهاماتها في المراجعات الإنسانية؟

الكلمات المفتاحية: المسلم؛ الدور الحضاري؛ النظام العالمي؛ جائحة كورونا؛ السنن الكونية.

Abstract :

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, his family, companions and those who are loyal to him, and after:

The global human systems that emerge from time to time, following geopolitical and social changes, as a result of crises that precede them, such as wars, conflicts, and others, all seem to have one call to mend fractures, remove all factors of division between nations and peoples, and remove the intractable obstacles that

stand in the way of closing the ranks of humankind. To live on earth in peace and serenity.

However, the reality that the world is experiencing, especially the weak and helpless people, tells the opposite of these facts. The law of the jungle, which is based on the fact that the strong have the right to prevail and attack the weak, is the dominant law over the global system, and the policy of subjugating the weak and extending the hand of exploitation over their capabilities and wealth. It is the dominant language in international norms, even if it is wrapped in a veil of hypocrisy died with human rights and human brotherhood.

Keywords: Muslim; Civilizational role; World order; Corona pandemic; Cosmic laws.

مقدمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، وترفع الدرجات، أحمدته على آلائه ونعمه، وأعوذ به من عذابه وغضبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وخليفه، بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً، فبشر ويسر، وحذر وأندر، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد:

بعد شيوع مرض الكورونا وامتداد رواقه في العالم، طفحت على السطح مؤشرات ومعايير كانت كامنة بل الحادثة، وظهرت متغيرات

عديدة في مسار العرف العالمي، وقد كثرت الكتابات في زمن كورونا من كل الزوايا والاتجاهات والتخصصات، فظهر فقه النوازل، وأدب الأوبئة، والقراءات السياسية للوباء و الأجندات الإعلامية، لذلك يعتبر هذا البحث دراسة تحليلية استشرافية فكرية، يغلب عليها الطابع السنني، فالدراسة تعتبر تفسيراً علمياً فكرياً منطقياً بعيداً عن الدجل التحليلي والهرطقات السفسطائية في التفسير، فالتفسير السنني المنطلق من الرؤية القرآنية الكونية هو التفسير الذي يجمع العقل بالنقل ويربطهما بالواقع، وهو الذي يجمع بين السنن والأسباب، فإذا قرأنا التاريخ نجده شيئاً عادياً جداً، يقع عند جميع الأمم لحكمة يريد بها الله، قد نفسره غيبياً! وقد نفسره مادياً!!!

والأصل أنه سنة من سنن الله في خلقه، وهنا ملامح النسبية البشرية في مقابل الله بكل جلال وجمال وكمال، والأکید أن نعم الله الباطنة ستظهر قريباً بعد زوال البلاء، أما الخلاص الفردي، فلا يكون إلا بالتعاون والتوبة ورد المظالم، والأخذ بالأسباب.

فهل اجتياح الكورونا للعالم وعدم تفرقه بين أجناس الشعوب، يعيد للضمير الإنساني صوابه وعقله؟ وهل تُقذف في أفئدة البشر مشاعر الإنسانية والرحمة التي اغتالها المادية البغيضة....؟ وماهي تجليات السنن الكونية التي أفرزتها الجائحة وإسهاماتها في المراجعات الإنسانية؟

لذلك فقد درست الأمر من جانبه السنني الخاضع للأسباب والمسببات، فتناولت في البداية حقيقة النظام العالمي الذي يحكم وفقه الإنسان في العالم، وبيان أن القوانين العالمية تخطها أقلام القوى العظمى والمسيطرة فيه، لذلك غالباً ما تكون خادمة لمصالح الدول العظمى، ولا

تراعي للمستضعفين مصلحة ولا حقا، رغم تغليفها بالجانب الإنساني والحقوق العالمية.

ثم تعرضت لتأثير جائحة كورونا على تلك الأعراف الإنسانية، وأنه بنظرة استشرافية سننية، يمكن الخلوص إلى أن معالم التفكير العالمي يجب أن يخضع لمراجعات إنسانية عالمية بعد جائحة كورونا.

المطلب الأول: حقيقة النظام العالمي وأسس قيامه.

الفرع الأول: النظام العالمي قبل كورونا.

نحن نعلم يقينا أن الدساتير الإنسانية التي تحكم العالم وتضبط قوانينه، في معظمها تصاغ بأيادي الغلبة والقوى المسيطرة في العالم، خاصة القوى السياسية والعسكرية، فما من حضارة استمست بزمam الإستمكان في الأرض، إلا وبسطت على العالم أعرافها السياسية ونظمها وحتى رؤاها وفكرها، فقد جاء في كتاب نحن والحضارة الغربية للمفكر أبي الأعلى المودودي: (.... مثل هذا الظن قد غلب المعقول في كل زمان بالنسبة إلى تلك الأمم التي كانت (الأمة الغالبة) في زمانها، ففراعنة مصر وأمتا عاد وثمود في العرب، والكلدانيون في العراق، وأكاسرة فارس، والغزاة اليونانيون العالميون، وملوك الروم الحاكمون على أقطار الأرض، والمجاهدون المسلمون الفاتحون للعالم، والجنود التتر المخربون للبلاد، كل أولئك قد مثل دور القوة والسيادة على مسرح هذه البسيطة، فأى من جاءت نوبته منهم، صعد المنصة وأدهش العالم — كفعل الأمم الراقية اليوم — بما عرض من مظاهر قوته ومشاهد ذهابه وغيابه في أنحاء الأرض، وكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها، وقد سمع

دوي شوكتها وجبروتها في ربوع الأرض على هذا النحو، وهكذا ارتاعت الدنيا لعظمتها، وخيل إلها أن قوتها لن تزول ¹

هذه سنة حضارية منذ الوجود البشري، فكل مستمكن يود بسط بأسه وحتى نظرتة وفكره على غيره الذي ليس له في الحضارة حول ولا قوة، بيد أن هناك تمايزا بين الحضارات الغابرة والتي حكمت العالم وغمرته بسيادتها النافذة في الأمم والشعوب، فالاختلاف في الثقافة والعقائد وطرائق التفكير والنظر لمعنى الحضارة، جعل طرق بسط أذرع الحضارة على العالم تتغير من حضارة لأخرى، فلا يمكن مثلا مقارنة الزحف المغولي التتاري على العالم وطريقة هيمنته على شعوب الأرض التي اكتسحتها جيوشه، بالفاتحين المسلمين الذي ركزوا رايات فتحهم على أصقاع شتى من العالم، فكلتا الحضارتين قد بسطت أعرافها وقوانينها على البلاد التي زحفوا عليها، لكن الطرائق مختلفة بل متباينة أشد التباين، لذلك نجد معظم البلاد التي عدا عليها المغول، قد حافظت على كل مميزاتها العقدية والثقافية وغيرها، إلى أن ذاب الزحف المغولي في تلك البلاد، أو جر أذيال التراجع والعودة القهقري، بينما البلدان التي فتحتها أجناد الإسلام وأرست قواعدها فيها، قد ذابت في حضارة الإسلام وصارت جزءا من كيانه لا يميزها شيء عن المسلمين الأوائل.

أما الحضارة القائمة اليوم، والتي سبقت الكورونا، فهي حضارة غربية مادية محضة.. أسستها الحضارة الغربية على قوام المادة والمال، فصارت المادة هي الوثن المعبود، والذي تقدم له القرابين مهما غلا ثمنها، فكان الصراع دوما من أجل إخماد أنفاس كل سياسة وقانون عالمي مستند إلى

1. أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دار الشهاب عمار قرفي، باتنة الجزائر، 1988م، ص 80-81.

القيم والعقائد والأخلاق، فهم يريدون قانونا واحدا، هو قانون المادية الأوحده، الذي يجب أن يكون هو المهيمن على كل شيء، لأنه في نظرهم أن المادة هي الأصل في الوجود البشري، ولا يمكن قيام كيان الحضارة البشرية بغير تلك المادية المحضة، وأنه متى استعاض بالمادية أي قيمة من القيم المعنوية، فإن بناء الحضارة الإنساني سينهدم لأنه قام على غير أسسه الأصلية والعتيده.

يقول المفكر علي عزت بيغوفيتش في كتابه القيم الإسلام بين الشرق والغرب: (... يقول الماديون: إن الإنسان هو الحيوان الكامل (l' homme Machine)، وإن الفرق بين الإنسان والحيوان إنما هو فرق في الدرجة وليس في النوع، فليس هناك جوهر إنساني متميز، الذي يوجد فحسب، فكرة تاريخية واجتماعية محددة عن الإنسان والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحده هو التاريخ يوجد على الحقيقة.

إن الإنسان نظام (System)، كغيره من النظم الطبيعية، يخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة، وتطور الإنسان متأثر بحقيقة موضوعية خارجية، هي العمل هذه الأفكار تبدو مقنعة، ولكن الذي لا يبدو فيها بوضوح أنها في الوقت نفسه، إنكار جذري للإنسان، في الفلسفة المادية يفكك الإنسان إلى أجزائه التي تكونه، ثم يتلاشى في النهاية ...)².

فالقوانين المادية العالمية والعقائد التي لصقت بأذهان أصحابها، مستمدة من كون حضارتهم لن تبقى لها قائمة ولن يستمر لها كيان إن لم تقن لجبروتها وضييمها لوائح وديساتير رسمية مغلفة بغلاف موثيق الأمم المتحدة وحقوق الإنسان، والحقيقة أنها قوانين خادمة للأمم المستبده

2. علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة، مصر 2009، ط14، ص66-67

القوية، كاسرة لأضلع الأمم المقهورة حتى لا تقوم على قدميها وتنازعها مقاليد الرياسة العالمية وزمام الحضارة.

جاء في كتاب الإسلام المفترى عليه للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - (إن المادية القائمة على نوازع الأثرة وقوانين المنفعة، وانتهاز اللذائذ واشترائها بأي ثمن، قد كسبت المعركة ضد الأديان، دون أن تجد أمامها مقاومة تذكر ... ولما كان التقدم العلمي والاتجاه المادي، قد طفر طفرته الكبرى في الغرب، حيث توجد اليهودية وتسود المسيحية، ولما كان الإسلام في هذه الفترة محسورا في بلاده، بين همل لا يدركون شيئا، ولا يحسنون عملا، بل كان شائه الحقائق طامس المعالم راكد التيار، فقد انفردت المادية بالديانتين القديمتين فافتستهما، ونظرت في شرق الأرض وغربها، فلم تسمع صوتا يتحداها)³.

وعن الطلاق بين الحضارة العصرية المادية والقيم الإنسانية الراقية والعدالة الاجتماعية يتحدث الطبيب الفرنسي ألكسس كاريل صاحب الكتاب الشهير الإنسان ذلك المجهول: (يبدو أن الحضارة العصرية عاجزة عن إنجاب قوم موهوبين من ناحية الخيال والذكاء والشجاعة ... ففي كل بلد يوجد تناقض في المستوى العقلي والأدبي لأولئك المسؤولين عن الشؤون العامة)⁴.

3. محمد الغزالي، الإسلام المفترى عليه، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر، ص 26 - 27.

4. ألكسس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق أسعد فريد، دار بيت الحكمة، بيروت لبنان، 2017، ص 35،

الفرع الثاني: الواقع الإنساني قبل كورونا ونظام المتغلب.

بعد أن كانت أبصار العالم مشدودة لآلة الحصاد المريعة لوباء الكورونا، كنت أتابع مشاعر الإنسانية والرحمة التي نبتت في أفئدة العالم فجأة، لقد كانت مشاعر الإنسانية مجمدة أو ميتة يوم كانت المذابح الوحشية تقترب في حق المسلمين المستضعفين في أصقاع شتى من العالم، فالمسلم مهدور الدم حيثما كبت به رجله، فمجازر البوسنة والهرسك ستبقى وصمة عار في جبين الإنسانية، ولن تستطيع أمواه الأرض كلها غسل العار الإنساني في حق مسلمي البوسنة والهرسك، لقد تمت المجازر الصربية أمام مرأى ومسمع القوات الأممية، التي لم تحرك ساكنا، لقد كانت المجازر على تلك الأمة المغدورة تتتابع، ويتفنن الصرب من مجزرة لأخرى، كان أشنعها مجزرة سربرنيشتا عام 1995م، حيث قتل الصرب أزيد من 8000 بوسني، وتم اغتصاب أعداد هائلة من النساء، وأما المهجرون عن بيوتهم فكانت الأعداد لا تعد ولا تحصى، وقد حدث ذلك أمام القوات الهولندية التي كلفت من طرف هيئة الأمم المتحدة بحماية المدنيين، وليت هذه القوات المتواطئة اكتفت بالتفرج والمشاهدة، بل إنها أعادت الكثير من الفارين من جحيم المجازر، إلى القوات الصربية لتجهز على كل فار مقبوض عليه⁵.

أما المجازر الأمريكية على العراقيين، فلن يستطيع الفرات محو آثارها، فأمريكا التي وعدت العراقيين بالتححر والديمقراطية والتحرر، ألبست العراقي لبوس المهانة، وجرعته العلقم والمرارة، لقد صار العراقي

5. انظر: وكالة الأنباء الإسلامية، البوسنة والهرسك، قصة شعب مسلم يواجه العدوان،

دالا القبله للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992م،

ص122-124.

يتمنى أن يموت ألف ميتة على أن يقع بين يدي الأمريكي مدعي التحضر، ففضيحة سجن أبو غريب أماطت اللثام عن الوجه الحقيقي لأمريكا، فأنياب الوحشية ومخالب الهمجية مغيبة تحت غطاء حقوق الإنسان، التي صدعت الولايات المتحدة بها رؤوسنا، لقد كانت صور المعذبين في سجن أبو غريب تنطق بوحشية الإجرام الأمريكي، فالصور والمشاهد المسربة أظهرت السجناء كأنهم في قلب جهنم، وتلكم هي الحرية المنشودة عن أمريكا.

أما صيحات الموجهين في إقليم أراكان، فكانت تصعد تارة وتختفي تارة أخرى، بفعل التستر العالمي لوحشية البوذيين على مسلمي الروهينغا، ولا بأس أن نتوقف قليلا مع حال هؤلاء البؤساء، فبورما دولة آسيوية تقع جنوب شرق آسيا، يحدها من الشمال الشرقي الصين، ومن الشمال الغربي بنغلاديش والهند، ومن الجنوب خليج البنغال والمحيط الهندي، ومن الجنوب الشرقي شبه جزيرة مالايو، ويبلغ عدد سكانها 55 مليون نسمة، معظمهم من البوذيين، ويبلغ تعداد المسلمين فيها بين السبعة إلى العشرة مليون نسمة، أي بنسبة 15 في المئة من مجموع السكان، ويرتكز المسلمون في إقليم يسمى بإقليم أراكان، الواقع شمال غرب بورما، على الحدود مع بنغلاديش.

وترجع قصة مسلمي الروهينجا إلى ما قبل 1784م، حيث أن إقليم أراكان منذ الفتح الإسلامي كانت إقليما مستقلا بذاته، غير أنه منذ العام المذكور، خشي البوذيون من انتشار الإسلام، فقام الملك البوذي " بوداباي " بضم إقليم أراكان إلى باقي الدولة البورمية، ومنذ تلك الحقبة، ومأساة المسلمين تتوالى في ذلك الإقليم، حتى إبان الاحتلال البريطاني لبورما، كانت السلطات البريطانية تمد البوذيين بالسلاح للعبث بأرواح

وأعراض المسلمين، وكأن أرواء الزمن الطويل، والسنوات الخوالي ليست كافية، لتقوم بريطانيا بدعم الوحشية الممارسة على الشعب المقهور. بخروج البريطانيين من الأرض البورمية، بدأ عصر جديد من الاضطهاد البوذي على مسلمي أراكان، فانتهجت سياسة قمعية لإجبار المسلمين على الارتداد إلى البوذية، ورغم الترويع والتنكيل، لم يرتد مسلم واحد عن دينه، الأمر الذي أفقد البوذيين صوابهم، فازدادت آلة البطش على المسلمين الذين لم يعد لصراخهم صدى في العالم، وإلى الآن مازالت المجازر العنصرية تنفذ في حق مسلمي الروهينغا، على أيدي جماعات الماغا البوذية، المدعومة من النظام الحاكم في بورما، ولا يزال الصمت الدنيء يملأ أروقة الأمم المتحدة، ليمنح الضوء الأخضر لتلك الجماعات الإرهابية للتنكيل بالمسلمين⁶.

أما فلسطين فهي نكبة إنسانية، جعلت لباس النفاق العالمي ينتزع منه لتبدو السوأة العالمية، والحقيقة المرة للنفاق الإنساني، فالحصار الذي أقبع شعباً بكامله في سجن كبير لسنوات طويلة، لم يدغدغ مشاعر الإنسانية للعالم، بينما تحركت مشاعر الرحمة والإشفاق على الدول التي عزلها فايروس كورونا لعدة أيام فقط، فأى منطق هذا؟⁷

إن هذه الحقائق الموردة لا تمثل إلا صفحة عابرة من صفحات دستور النظام العالمي الذي يحكم به أسياذ العالم، وقد تحدث الدكتور مصطفى محمود رحمه الله عن بعض هذه النظم والقوانين التي

6. راجع مأساة مسلمي الروهينغا في ميانمار، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد السادس والعشرون، كانون الأول 2017م.

7. نوح دربال، عصر الكورونا، رؤية فكرية وتجليات سننية، دار النعمان، الجزائر، ط1، 2020، بتصرف، ص 43 - 44.

يجريها أقوياء العالم في الأرض وبين الشعوب، فقال في كتابه نهاية الحضارة: (تلك الحضارة المادية التي خلعت الله عن عرشه، وأقامت الإنسان مكانه وجعلت من الإنسان إلها وسيدا على الكون والطبيعة، وكيف دمر الإنسان الطبيعة ولوثها بفضلاته ... وهو الآن يوشك أن يدمر نفسه ... وفي تحليل دقيق حاول أن يضع يده على ثغرات هذه الحضارة ... والعلاقات الاجتماعية في هذا اللون من الحضارة المادية واحدة، وهي علاقات عمودية التسلسل في الاستعباد والسخرة في المجتمعات والاقتصاد في هذه الحضارة المادية لا يهدف إلى نمو صحي، بل يخدم نوعا من النمو الوحشي، هدفه تشغيل الآلة حتى ولو كانت تنتج أشياء بلا فائدة، أو أشياء ضارة، أو أشياء مدمرة وهكذا انتهى هذا النمو الوحشي إلى إنتاج القنابل الذرية والصواريخ ذوات الرؤوس النووية، وإلى 650 ألف مليون دولار سلاح، مقابل 50 مليونا يموتون جوعا، وهواء ومياه وزراعات وأرض ملوثة بالمخلفات الإشعاعية).

ويمضي الدكتور في تحليله وتوصيفه للنظم العالمية التي بها يحكم الأقوياء في هذا العالم، فيقول: (... كيف يمكن أن نسي هذا اللون من الحياة تقدما، وقد أشعلت هذه الدول المتقدمة الحروب الصغيرة في العالم الثالث، وحاصرته بالمؤامرات لتجعل منه سوق سلاح تباع فيها فوائض إنتاجها، وتجرب فيها أسلحتها الجديدة)⁸.

ومع التزايد المخيف لعدد الإصابات بفيروس كورونا، ومع الارتفاع في الضحايا الذين يموتون بسبب هذا الوباء، كانت أصابع الاتهام توجه بين الدول الكبرى، في ضلوع أطراف بشرية في هذا الوباء، فبعد أن صرحت الولايات المتحدة الأمريكية بتصريح وسمت فيه الوباء بالفيروس الصيني،

8. مصطفى محمود، نهاية الحضارة، دار المجدد، الجزائر، 2017، ص 10.

ثارت ثائرة بيكين، لتزد على التصريحات بتصريحات أخرى، هي أشد وطأة وأكثر خطراً، حيث أنها وجهت اتهاماً مباشراً لواشنطن، بتسليح اليد الأمريكية وضلوعها في ميلاد هذا الفيروس القاتل، هذه التصريحات ليست وليدة الفراغ، أو التراشق المعهود في التهم، بل هي تصريحات مبنية على معطيات مستورة في المخابر العالمية للطرفين.

إن هذه الحقائق التي تطفو في كل مرة على الساحة، مخوفة العقبي، ومدعاة للنظر والتأمل الطويل، في حالنا والحال الذي وصله غيرنا، ففي وقت يحلق فيه غيرنا في عالم الحروب الالكترونية والبيولوجية، وتحشد في هذه الحروب أفتك الأسئلة المتطورة، مازلنا نراوح مكاننا ننبش في الخلافات التي مزقت الشمل، وأهلكت الحرث والنسل، لقد هالني ما سمعته عن هذا التطور الرهيب، والبون الكبير بينهم وبين ما نحن فيه، فبلوغ مبلغهم يحتاج منا جهوداً مضيئة وعملاً دؤوباً، نصل فيه الليل بالنهار، ومع التخطيط المصحوب للانتفاضة الفكرية المنشودة، يمكن أن نخلف معالم التخلف وراءنا ونسابق الزمن للحاق بركب تطورهم.

والأمر المخوف ليس فقط تذليل مصاعب العلم أمامهم، ولا تمكّنهم من ناصية التطور واقتيادها بطوع بنانهم، بقدر ما يخوفنا هو التلاعب الصفيق بالحياة الإنسانية، والعبث بأرواح بني آدم، فلو يثبت صحة مزاعم ضلوع طرف من الأطراف في إنتاج الفيروس، وتعاونه في المختبرات لينتقل بعدها إلى الإنسان، فإن ذلك جريمة لا تغتفر في حق الجنس البشري، خاصة أن هناك تقارير علمية تؤكد أن الفيروس الحيواني الأصل، لم يكن لينتقل مباشرة إلى الجنس البشري، بالتعاطي المباشر لتلك الحيوانات التي وقر الفيروس فيها، بل هناك وسائط أخرى هي التي لعبت دور نقله، من السلالة الحيوانية إلى الجنس البشري، وهذا ما يؤكد

لنا مرة أخرى أن القوى العظمى في العالم، لا يثنى عنها عن تحقيق مبتغياتها شيء، حتى باللجوء إلى الانسلاخ من آدميتهم، والتخلفهم شملة الحيوانية، فالنفوس التي استحال فتان تجارب بيد هذه المختبرات العملاقة، يحمل أوزار إزهاقها، سفاحون بامتياز، في مسالخ شخصيات سياسية محترمة.

لقد أغرقت الدول الكبرى العالم الثالث في حروب المنتصر فيها منهمز، والفوز الوحيد والأكيد، كان لتلك الدول التي أشعلت فتيل الصراعات الداخلية بين الشعوب المقهورة، فصارت تباع الأسلحة للجانبين، فإذا ما استنفذت الجهات المتقاتلة قواها، وغرقت الدولة في الديون والمجاعات، جاءت المساعدات من نفس الدول التي أوقدت نار الحرب، وأذكتها ببيع السلاح، والتي قامت بالتحريض بين القوى المتصارعة، لتلعب دور المخلص والطرف الطيب في العالم.

وفي هذا الصدد يتحدث المفكر الكبير الطيب برغوث في كتابه التجديد الحضاري وقانون النموذج، عن طبيعة الحضارة المعاصرة التي نعيشها، فيورد قائلاً: (وهي الحضارة التي تتميز عن كل الحضارات التي مرت بها الإنسانية، من حيث التحولات العميقة التي أحدثتها الثورات العلمية في القرن العشرين، وبدايات القرن الواحد والعشرين، في حياة الإنسان العقلية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ... على طريق النضج في في التعامل مع سنن التسخير في عالمي الآفاق والأنفس)، وفي هذا النقطة الأخيرة بالضبط علق الدكتور برغوث على كلامه بتهميش في كتابه هو كالاتي: (ينبغي أن ننبه هنا إلى أن تحكم الحضارة المعاصرة في منظومة سنن الأنفس، ليس في مستوى تحكمها في منظومة سنن الآفاق، بل هو تحكم جزئي غير متكامل، بسبب عجز هذه الحضارة على الاستفادة من منظومتي سنن الهداية وسنن التأييد،

المكملتين للإمكانات التسخيرية الأساسية التي تفتقر إليها حركة الاستخلاف البشري في الأرض)⁹.

المطلب الثاني: دور الإنسان المسلم وسط هذا الصراع العالمي ووظيفته الحضارية.

كنت أشاهد حرب الأخبار أو الشائعات حول اكتشاف المخابر العالمية للقاح، فاعتراني حزن شديد وضيق رهيب، فقد كانت الدول التي تعلن اكتشاف مخابرها للقاح غير مسلمة، والمسلمون هم الحلقة الغائبة وسط هذا السباق العلمي لإنقاذ البشرية من الطاعون القاتل، لقد كان المسلمون في جل أقطارهم محجوبون عن عالم الاختراعات والاكتشافات الجديدة، وحينما نجد بصمة العقل المسلم في اكتشاف علي جديد، وجدنا أن الرجل لم يكن يمثل باكتشافه قطرا من أقطار الإسلام، بل كان سفير علم لدولة غير إسلامية احتضنت عقله، وتعاهدت موهبته حتى وصل إلى ما وصل إليه.

الفرع الأول: خلل في فهم وظيفة المسلم الحضارية:

لذلك يتحدث الشيخ الغزالي رحمه الله عن هذا الخلل المكين في الأمة الإسلامية فنجدته يقول في كتابه سر تأخر العرب والمسلمين، وذلك تحت عنوان، أين الخلل ... ؟ : (إن الأمة الإسلامية تعاني صدوعا هائلة، وهي الآن موزعة على أكثر من سبعين قومية، أو سبعين جنسية سياسية بلغة هيئة الأمم المتحدة، ولغة جوازات السفر على سواء .. والإسلام سواء كان عقيدة أو شريعة عملة ليس لها رصيد، وأتباعه يُنال منهم ولا ينالون، ويجار منهم ولا يجيرون، وذئاب الشرق والغرب تغير عليهم فتفتقرس ما

9. الطيب برغوث، التجديد الحضاري وقانون النموذج، دار النعمان، الجزائر، 2017م،

شاءت من القطعان السائبة دون أن يتمعر وجه الحق أن الأسباب كثيرة بين سياسية واجتماعية وثقافية، وأنها بدأت من قديم، ولكن الكيان الحي قد يغالب الجرائم الوافدة ويهزمها، وقد يصاب بها ويتماسك تحت وطأتها، وربما استطاع العيش زمانا وهو يحس بها ويعالجها بمسكنات موقوتة ...)، ثم يعرج الشيخ رحمه الله عن ضرورة البحث عن أسباب هذه الانتكاسات المتوالية والكبوات المتلاحقة فيقول: (والبحث عن أسباب الوفاة مطلوب، إن الإسلام ختام الرسالات السماوية، وتاريخ الأولين في كتابه، يحتل أكبر جزء منه، وذلك لتعرف الأمة الأخيرة لماذا هلكت أمم ونجحت أخرى ؟)¹⁰.

لما كانت الدول تعيش ضغطا كبيرا وكل أبصارها مشدودة إلى أبواب المخابر العالمية، تنتظر ما تجود به العقول الكبيرة في صراعها مع الزمن، كانت الطبقة المثقفة في بلادنا تكيل الاتهامات لبعضها البعض، بخلافات إيديولوجية فارغة، وتوجهات فكرية ومذهبية لا معنى لها، بل إن العوام قد دخلوا صف النقد والتجريح، واتهم العلماء الذين أفتوا بإغلاق المساجد وتعليق الجمع والجماعات ببيع دينهم، فصار الجميع مفتيا ومجتهدا، فغرقت الساحة بفتاوى الرعاع والأغرار، إنني أرى ضحالة الفكر ونضوب المعرفة مع قلة العلم والتفكير، خطر يدهم الأمم ويعصف بكيان الأفراد، يضاهي بل يفوق خطر الأمراض الفتاكة، فقد نبتت نابتة هذه الأيام من الأغرار، الذين يتجاسرون على الخوض في الحديث عن كل شيء، وإن الواحد منهم لا يؤتمن على قراءة كتاب بمنطق سليم، وهؤلاء يفسدون دين الله ودنيا الناس، والمؤسف أن هؤلاء الأغرار معظمهم فارغ الإنتاج في

10. محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر. ص

دنيا الناس، قد صكته الحياة بقوائمها فأردته على التراب، والفراغ موطن خصب لنمو العفن الفكري وشيوع السفالات العقلية بشتى أنواعها. إن تقويض بناء الأخوة باختلافات طائشة رعونة يرتضيها لنا العدو أكثر من عوامل الهدم الأخرى، وذلك أن شقاق الإخوة سيقرب طاولة الاجتماع، ويهدم سقف التآلف على رؤوس المجتمعين، وإذا دب الشقاق بين أبناء البيت الواحد، فإن السقف سيخر، والحيطان ستنهد، والشمل سيتبدد، ونحن في وقت أشد ما نحتاجه هو لملمة الصفوف وجمع الشمل، فالأمة الممزقة أشلاء، كل شلو يدعي أنه كيان قائم بذاته، أمة مآلها السقوط في شتى الميادين، فأوروبا التي تمثل كل دولة لوحدها قوة اقتصادية كبيرة، علمت أن مضاعفة القوة وتحقيق الريادة، لا يتأتى إلا بالاجتماع والتعاون، وأن إذابة عوامل الفرقة هو أولى أولوياتها، قال تعالى مشيدا بهذه الخلّة: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) [آل عمران: ١٠٣].

كنا أعيش مع الأزمة بقلوبنا، ولكن لم يفرغنا مرض الطاعون، بقدر ما أفرغنا المرض العضال الذي فتك بالعقول المسلمة - فأعطب تفكيرها وشل أطرافها عن الحركة، إننا أمة لا نقوى على صنع سيارة نركبها، ولا سلاح ندفع به عدونا، ولا طعام نسد به خلة شعوبنا، إننا أمة تابعة كلية لغيرنا في كل الميادين، والحقيقة أن الغرب مسرور بهذه التبعية المهيينة للعالم الإسلامي، لأنهم يدركون جيدا أنه متى استفاق العقل المسلم من سكرته وقام من غفوته، فإنه سينازعه مقاليد الرياسة العلمية، ويسابقه في مضمار الحضارة، لذلك فهو يمارس عليه سياسة التنويم والتخدير،

ليبقى الرجل المسلم طريح فراش التبعية المقيتة، ويصفو الجو له بلا منازع.

لقد كان المسلمون مشغولون بخلافات فرعية حول إغلاق المساجد، وهل يجوز تعليق الجمع والاكتفاء بالصلاة ظهرا في البيوت؟ وهل تعليق العمرة، وربما سيؤول الأمر إلى إلغاء الحج لهذا العام، هل هذا له مستند شرعي أم لا؟

كل هذه التساؤلات كانت ميدانا لصراع الأفراد في بلادنا، في وقت كانت جل بلدان العالم الإسلامي عاجزة اليد عن استخراج ثروات بلادها من بواطن الأرض، إلا بمساعدة غير المسلمين في ذلك، فهل نحن في حاجة إلى اشتغال الجميع بفتاوى فرعية لها أصحابها وأهلها؟ ! كلا كلا ... إن الاشتغال بهذه القضايا الفرعية ومنازعة أصحاب الاختصاص في بيان حكمها، في وقت الحاجة إلى دواء يقي الإنسانية شرا داهما، جريمة كبيرة وتجن على دين الله تعالى، إن جمهورا كبيرا من المسلمين مغيب عن الفرائض الكبرى المفروضة عليه في هذا الزمان، فبناء المخابر العلمية التي تخرج للناس الدواء الذي يقيهم شر الأمراض والأسقام، من أولى الأولويات في زماننا، فجل الأدوية التي نتعاطها نستوردها من غيرنا، وإنشاء المصانع الكبرى لسد حاجيات أقواتنا ومعاشنا، ضرورة مطلوبة اليوم بلا استبطاء، إن جفاء عظيم حصل بين التدين والحياة، وهو أمر مخوف العواقب، فمخاصمة المسلم للحياة وصدوده عن عقد صلح شريف مع العلم، ليس من الإسلام في شيء، إن الإسلام بريء كل البراءة من هذه التصرفات الرعناء لأبنائه، فالمريض الذي يأنف تعاطي الدواء، لو أنه كته العلة أو قتله المرض فلا لائمة على الطب، وكذلك الأمة التي ترفض الاستطباب من علتها بترياق دينها، لذلك فإن الإسلام براء من أمة نفرت من

تعاليمه، وتنكرت لتشريعاته، فلم تكن البطالة في الحياة يوما مطلوبة شرعا، ولم يكن امتلاك أسباب القوة العلمية مرفوض شرعا، إن هذه العقلية السمجة ولَّدَتْ جيلا حسب العمل للأخرة صعلكة بليدة في الدنيا، فالإسلام لا يحتاج فردا متسكعا في أزقة الحياة، قد صكته الدنيا بقوائمه، فالكسل عن الدنيا ليس تدينا، والعجز عن امتلاك زمام الحضارة ليس زهدا، فلما صار التبطل والتعطل عنوان التدين، أصبح الدين ملاذ الفاشلين في الدنيا، ومعقل الفارغين، إن الإسلام كبير يحتاج أهلا على قدره، يحققون مراد الله من الاستخلاف في الأرض، ينفعون أمتهم والإنسانية على حد سواء.

لذلك أحيانا أكاد أجزم أن سنا الفطرة أسرى وأشييع في الحضارة الحديثة منه في ظل التدين المعتل، فالتدين الواهي قد ردم مجرى الفطرة وطمس معالمه في النفوس، وإلا فما معنى أن يمتلك الإلحاد زمام الحضارة، ويروّض الطبيعة فيجرّؤها من ناصيتها لخدمته، ويبقى حامل التوحيد محجوب الرؤى عن مغاليق الحياة وأسرارها، فلا بد من إزالة ركام الأوهام عن الدين ليُشِعَّ وهج الفطرة علينا.

وهذا التخلف المقيت في بني أمتنا هو مراد أعدائنا وجزء من مرامي خططهم، فقد أرادوا إسلاما بلا روح، يشغل بالجزئيات ويضرب صفحا عن الكبريات، وأرادوا دعاة يتناطحون تناطح الكباش حول صلاة المرأة في المسجد، والقنوت في الصبح، وعيونهم رمد عن وجوب إعمار الأرض بالحياة والاستخلاف فيها، أرادوا كل ذلك فكان لهم ما أرادوا، فهنيئا لهم أن حققنا مرادهم بأيدينا.

وكثيرا ما أظن أن سبب هذا التغييب عن الركب الحضاري، سببه في العالم الإسلامي هو الفرعونية السياسية والقارونية الاقتصادية، فهي قدر لا بد

أن يزاح من على الأرض، وإلا فلن تستطيع الأمة أن تتقدم خطوة واحدة، وسط هذا الركام من الوسخ، فالأولى رجمت وجوه الشعب بـ: (وما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) [غافر: ٢٩]، والثانية لذعت سياطها ظهورهم بـ: (قال إنما أوتيته على علم عندي) [القصص ٧٨].

الفرع الثاني: الواجب الحضاري للفرد المسلم.

والحق أنني اليوم أرى أن أعظم المسؤوليات الواجب أداؤها، هي إعطاء العقل مكانته الأصيلة في بلادنا، فالأمة المخمورة عن التفكير أمة مغيبة حضارياً، بل مغيبة عن الحياة ككل، فإعمال العقل وتشغيله وإطلاق العنان له ليسيح في ملكوت الله عبادة أمر بها القرآن، وتعطيل العقل عن التدبر وتجميد الفكر بدعوى التدين سوءة فكرية تخرم الدنيا وتسيئ للدين، قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) [الغاشية: ١٧]، وقال صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله)¹¹.

إن الظن بأن الدين هو الانقباض في الجسد، وربط العقل بأوهام غيبية تناقض صريح وصحيح العلم ولم يبت فيها النقل بحكم، ضرب من السفه والتشويه للدين.

لقد أمر الله بفك عقال الفكر ليسيح في أملاك الله، وما بث فيها من عجائب تملأ الكون، وكسر قيود العقل لينطلق في رحاب الكون الواسع، ليسبر أغوار المادة والقوانين التي تحكم هذا النظام الكوني الدقيق، من لدن الذرة إلى غاية المجرة.

يتحدث غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب فيقول: (إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوروبية الوحشية في عالم

11. ابن أبي حاتم في تفسيره، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر.

الإنسانية، فقد كان العرب أساتذتنا ... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها موردا علميا سوى مؤلفات العرب، فهم الذين مدنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوروبا مدينة للعرب بحضارتها ...)¹².

فالمعركة القادمة للمسلمين من أجل استرداد حضارتهم ومجدهم التليد، هي معركة إحياء موات الفكر وإصلاح آلة العقل المعطوبة لديه، فعندما تتعطل آلة العقل، وتخبو جذوة التفكير، تتحرك آلات الإتياع بلا دليل، وتتوقد جذوة التقليد بغير برهان، حينها تنسخ حضارة الإنسان الحي، وتبرز حضارة الأموات الحاكمة بين ظهراي الأحياء، فالمعركة القادمة إذن هي معركة تحرير العقول من الأغلال التي حجرت التفكير، وألغت عبادة التدبر والتحليل، وحين تتحرر العقول من آصار الأوثان الفكرية الجاثمة على العقل المسلم، وحين يتخلص الفكر المسلم من لوثات الجمود العقلي، حينها يمكن للإنسان المسلم أن يكون أهلا للتجديف في مركب حضارة الإنسان.

يقول رينان أنرست نقلا عن أنور الجندي في كتابه: مقدمات العلم والمناهج: (ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامي الولود، إلى إبداع المدنية من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيه أوروبا المتعجرفة)¹³.

قال تعالى: (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير) [العنكبوت: ٢٠]، إنها

12. غوستاف لويون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي للتعليم

والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص 26 - 27.

13. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار 1409هـ، ج 8، ص 173.

دعوة صريحة لنبد الجمود الفكري، وإعمال العقل بما يمكنه من معرفة أسرار الكون، والتنقيب في فجاج الأرض وفتق آفاق السماء، لمعرفة أسرار المادة وخصائصها ومكوناتها، والقانون الكوني الدقيق الذي تجري من خلاله.

وقال أيضاً: (قل امظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) [يونس: ١٠١]

خاتمة

عندما يغيب الضمير الإنساني، ويشيع الإستبداد في الأرض ليكون هو الدستور الذي تبنى عليه شرائع البشر وقوانينهم، فتستحيل الأرض إلى غابة كبيرة يأكل القوي فيه الضعيف، ويسري فيها فقط ناموس الجبروت والظلم، كان لزاماً أن تتدخل اليد الإلهية لتؤدب أهل الأرض وتعيد القافلة الإنسانية إلى سكناها العتيدة، فتتجلى مظاهر السننية الكونية العادلة، التي حاولت الأيادي الجائرة طمس معالمها.

لذلك جاءت كورونا لتعيد للإنسان بوصلة الحياة والفطرة السوية، ليعيد ابن آدم مراجعة النظم العالمية التي حكمت العالم ووادت معالم العدالة البشرية المنشودة، وقد حاولت في هذا البحث التطرق لطبيعة النظم العالمية التي تم حكم العالم وفقها قبل كورونا، وماهي التداعيات التي أفرزتها الكورونا على هذه القوانين والنظم؟ وماهي مظاهر السنن الكونية التي كشفت عنها الكورونا؟ وهل ستغير ملامح العالم ونواميسه بعد جائحة كورونا؟

وفي الختام توصلت إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

1— القوانين الإنسانية العالمية تصوغها القوى الكبرى والمستمكنة في العالم، بما يخدم مصالحها، ويمدد تواجدتها ويقيم كيانها ولو على حساب الأمم المستضعفة.

2— الوباءات والجوائح في العالم كثيرا ما تقرع رؤوس البشر لتعيدها إلى صوابها، وتنصف مغموطي الحقوق في الأرض.

3— السنن الكونية لا تتخلف ولا تختلف، فحينما يضع العالم في عالم المادة، تأتي الجوائح لتضبط بوصلتنا في فهم السنن وعلاقتها بعالم الأسباب، بعدما تعطلت الحياة وتوقف الزمن، فأصبح للحياة معنى آخر يتعلق بالروح وأبعادها، وتغير مفهوم الزمن ونمطيته من المفهوم الحسابي الفيزيائي إلى مفاهيم أخرى.

4— المسلم مغيب المعالم والآثار وسط الصراع العالمي الحضاري لبسط القوانين والنظم على الكيان العالمي وفق الرؤية الحضارية لكل أمة، لذلك فالواجب مضاعف للإنسان السلم في هذا التدافع.

5— معالم العالم ستتغير ملامحه بعد عهد الكورونا، سواء تغير في القوى الاقتصادية، أو في التوجهات السياسية، والأخطر من ذلك كله، التغير في نمطية التفكير العالمية وضرورة المراجعة الذاتية للقوانين الحاكمة في جنس بني البشر.

قائمة المصادر والمراجع

1. ألكسس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق أسعد فريد، دار بيت الحكمة، بيروت لبنان، 2017.

2. أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، دار الشهاب عمار قرفي، باتنة الجزائر، 1988م.

3. أنور الجندي، مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار 1409هـ.

4. الطيب برغوث، التجديد الحضاري وقانون النموذج، دار النعمان، الجزائر، 2017م.
5. علي عزت بيغوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2009، ط14.
6. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م.
7. مأساة مسلمي الروهينغا في ميانمار، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، العدد السادس والعشرون، كانون الأول 2017م
8. محمد الغزالي، الإسلام المفترى عليه، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر.
9. محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر.
10. مصطفى محمود، نهاية الحضارة، دار المجدد، الجزائر، 2017
11. نوح دربال، عصر الكورونا، رؤية فكرية وتجليات سننية، دار النعمان، الجزائر، ط1، 2020
- 12—وكالة الأنباء الإسلامية، البوسنة والهرسك، قصة شعب مسلم يواجه العدوان، دالا القبله للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1992م